رواية مقتل بائع الكتب–قراءة نقدية

ا.د. نصرة أحميد جدوع م.د. يسرى فريح هادي

جامعة الأنبار/كلية التربية للبنات/قسم اللغة العربية

المستخلص

رواية الكاتب العراقي سعد محمد رحيم التي تتناول مآسي العراق بعد الحرب في ٢٠٠٣ بتفاصيل دقيقة عن أيام انهيار الدولة ومحورها قصة رجل عجوز ماركسي انتهت نهاية صادمة بمقتله بمسدس كاتم، وتكليف احد الصحفيين بتأليف كتاب عن حياته وملابسات مقتله ينتهي به المطاف إلى العثور على يوميات القتيل.

تحاول هذه الدراسة نقد الجوانب الفنية لمحاولة فهم الرسالة التي اراد الكاتب ايصالها للقارئ، والاسباب التي جعلتها تحتل مكانتها بين المكتوب الروائي العراقي والعربي حتى وصلت للقائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية، ومن خلال ملاحظات نقدية على البنى السردية والزمنية وبنية الشخصية فيها ،وتهدف الدراسة الى بيان ابرز الثغرات التي تخللت النص التي سببها السرد المفرط والوصف المسهب للاماكن والشخصيات ،كما تكشف الدراسة تنوع ثقافة الكاتب التي ظهرت بوضوح في مختلف فصولها.

وهي رواية مذكرات وسيرة ذاتية لا تحمل الكثير من التنويعات والاستثمار الممكن لعامل الزمن الروائي وفي الحقيقة فان هذا النوع من الروايات يبدو مملا في جانب منه لهذا السبب تحديدا، وتميزت بالاستثمار الذكي لتقنية الاسترجاع الزمني وتنويع سرد الخلفيات الخاصة بأنواع الزمن السابقة على امتداد مساحة النص.

A Critical Study of the Novel *Death of a Bookseller*

Abstract

Death of a Bookseller is a novel by Iraqi author Saad Mohammad Raheem. Its events spans the tragedies of Iraq after the war of 2003, presenting sharp details on the days of the collapse of the state at that time. The novel is the story of a Marxist old man who is assassinated by a silencer and a journalist is later commissioned to write a book on his life and death. The journalist's search ends with the discovery of the dead's diaries.

This is a critical study of the aesthetic aspects of the novel for a better understanding of the author's message and what makes this novel so important that it was finalized for Arabic Booker Prize. Scrutiny of the novel's narrative and temporal structures and characterization shows that the text of the novel is far from perfection due to over narration and over extended of places and characters. This study also shows that

the author's rich intellectual background makes itself clear in the chapters of the novel.

This novel is one of memoirs and auto biographical narration which lacks diversity and stops short of complete exploitation of narrative time in particular. This makes such types of novels a sort of boring. The novelist, however, was able to cleverly put to use all the potentials of flashback and narrative diversity of characters background by reaching backward in time all over the text of the novel.

أولا:الرواية والروائي

رواية (مقتل بائع الكتب)للكاتب العراقي سعد محمد رحيم نالت اهتمام النقاد والقراء وهو كاتب عراقي من مواليد ١٩٥٧ له مجموعة من الأعمال منها ست مجاميع قصصية وثلاث روايات منها (غسق الكراكي) التي فازت بجائزة الإبداع العراقي عام ٢٠٠٠ و(ظلال الجسد ضفاف الرغبة)غير المنشورة التي نالت جائزة كتارا للرواية العربية ٢٠١٦ ،وأعمال أخرى .(١).

ورواية (مقتل بائع الكتب) وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية البوكر ٢٠١٦.

وهي تتناول مآسي العراق بعد الحرب في ٢٠٠٣ بتفاصيل دقيقة عن أيام انهيار الدولة ومحورها قصة رجل عجوز ماركسي انتهت نهاية صادمة بمقتله بمسدس كاتم،وتكليف احد الصحفيين بتأليف كتاب عن حياته وملابسات مقتله ينتهي به المطاف إلى العثور على يوميات القتيل.

يتلقى الصحفي (ماجد البغدادي) اتصالا هاتفيا من شخص سبعيني يطلب منه تأليف كتاب عن شخصية بائع الكتب (محمود المرزوق)،الذي اغتيل في مدينة بعقوبة قبل أشهر،مقابل تكفل المتصل بنشر الكتاب في بيروت ومنح الصحفي ما يعادل راتب سنتين في الجريدة التي يعمل فيها واسمها (ضد).

ويقوم صديقه مصطفى كريم بتدبير مكان سكن له في بعقوبة مع صديق سافر والداه إلى سوريا واسمه حيدر وهو مدرس فن متقاعد.يصله بأربعة أشخاص يستقي منهم معلومات عن المرزوق وهم ابن أخت المرزوق وصديقته المقربة وأديب كردي من أدباء المدينة ورسام يعيش في هولندا.

وتعتمد الرواية على طابع التقطيع السينمائي للسرد في رواية الأحداث مع وصف مسهب للمكان والزمان وبعض المذكرات التي تغير مسار السرد وزمنه وهو دفتر يوميات الخراب الذي يقدمه فراس ابن أخت المرزوق والذي يعد سيرة موازية ليوميات سقوط بغداد (٢)

تمتزج في الرواية الأفكار السياسية لليسار المهزوم الذي يوازي في انهزامه الهزيمة السياسية والعسكرية للعراق في ٢٠٠٣.

وحديث مؤلف الرواية يكشف المغزى الذي قامت عليه وهو (العلاقة بين الشرق والغرب من خلال شخصية المرزوق على خلفية الأحداث التي شهدها العراق في النصف الأخير من القرن

الأخير،وتكاد تلخص نمط المثقف العراقي الذي خذل الواقع أحلامه فانتهى نهاية تراجيدية غريبة)(٣)

تحاول هذه الدراسة أن تستقصي الجوانب الفنية للنص بالنقد القائم على التحليل لمحاولة فهم الأسباب التي جعلت هذه الرواية تحتل المكانة التي احتلتها بين المكتوب الروائي العراقي والعربي حتى وصلت للقائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية،من خلال ملاحظات نقدية على البنى السردية والزمنية وبنية الشخصية فيها .

أولا: بنية السرد القصصي

يمثل التحليل التقني لأنماط السرد وسيلة لسبر أغوار النص ،وهو أمر يتطلب تفكيك الخطاب إلى مكوناته وتحديد أبنيتها الكلية والجزئية قبل محاولة الإمساك بدلالتها الشاملة(٤)وفي رواية تعتمد على سرد الوقائع بالتتابع الزمني الذي نجده في روايات السير والمذكرات لا نتوقع أن نجد أنماطا متقدمة ومتميزة سلفا ما لم يكن لقدرة الكاتب وموهبته قول آخر فيها.

وأول ما يطالعنا بداية الأقسام والفصول عموما العنوان ،وهو العتبة التي تمثل المدخل لكل عمل سردي وأدبي وهي أولى مراحل المتن السردي،ولكل عتبة نقاط تشير إلى حقائق تتعلق بالنص يكتشفها القارئ لاحقا حين يتقدم في القراءة،وكذلك أبعاد رمزية ،فان بدأ النص بفعل سردي فانك تربط القارئ بزمن الحدث(٥)

وتنكشف الرواية من العنوان الذي لخص أهم نقاطها التي ستقوم عليها ،مع أن عنوان(مقتل بائع الكتب) يحيل إلى مسرحية مشهورة لآرثر ميلر(موت بائع متجول)

وليس لأية تفاصيل أخرى أهمية تذكر خارج دلالة العنوان .

تبدأ الرواية (كنت آخر شخص ينزل من المايكرو باص وقفت على رصيف شارع الكراج القديم اعدل هندامي)(٦)زمنية السرد هي الماضي الذي يتحول إلى الحاضر (كنت،وقفت)و(اعدل) ومنذ العبارة الأولى التي بدأت بها الرواية لا يصعب على القارئ معرفة خطة الكاتب في بناء

النص وحيث الوصف الطاغي للحركات والشخصيات والأماكن وكل ما يحيط بالسارد ،فهي رواية تعتمد بساطة المتن الحكائي كما سيظهر .

وسنجد أن ما يعزز بساطة المتن الحكائي اللغة المستخدمة في الوصف وتقديم الشخصيات ووصف المناظر والعواطف وغيرها من أمور لا يمكن الاستغناء عنها في مثل هذا النوع من الروايات(واعني به روايات السير)وهو أمر نجده أيضا في نسيج لغة الحوار، ما يجعل النص متكاملا في هذا الجانب (٧)

وهناك أمور كثيرة شابت بنية السرد وأثرت عليها تأثيرا سيئا لايصعب ملاحظتها هنا وهناك، فمثلا في الفصل الأول سرد الكاتب جانبا مما يسميه (طرائف المرزوق التي حكاها الأستاذ حيدر)بدا جزءا دخيلا مقحما شوه وجه السرد لاسيما بعد وضعه بشكل نقاط وكان القارئ أمام كتاب علمي وليس نصا أدبيا يتوخى الجمالية والإقناع (٨)

و مرة ثانية يتكرر السرد الزائد ،وهذه المرة حين يسهب في وصف علاقته الخاصة بفاتن صديقته التي توبخه على قبوله بهذه المهمة التي تعتبرها (خطرة)ولا يبدو أن هناك علاقة قوية تربطه سابقا بهذه المرأة التي تستغرب رغبته بالزواج منها وهو الذي لم يكن يراها أكثر من صديقة لا أكثر باعترافه وفجأة تتحول (صديقتي)إلى (حبيبتي)وهذه مشكلة أخرى في النص إذ لطالما كانت ثيمة الحب معقدة وغير واضحة الملامح في الرواية العراقية بسبب البيئة العراقية المحافظة على الرغم من أن كثيرا من العلاقات تأخذ طابعا حسيا، لاسيما في الروايات ذات البعد السياسي التي تعالج فترة قلقة من تاريخ العراق.

وأثناء النص تتكشف الصلة التي انعقدت بين الكاتب الذي يمثله (البغدادي) والشخصية التي يكتب عنها (المرزوق) لتجاوز أحيانا الحد المعقول ،وقد تشكل الاقتباسات الطويلة من المعلومات التي يستقيها من شخصيات أخرى عن المرزوق عبئا على النص يسبب الملل للقارئ اقتباسات طويلة من كلام المرزوق يسوقها هيمن قرداغي الشخصية التي تزوده بجانب من معلوماته عن حياة المرزوق وهي بالمجمل معلومات لا قيمة لها تمثل آراءه في النساء وعلاقاته الماجنة وهوسه الجنسي المقزز ومواقف حصلت هنا وهناك في باريس وغيرها ربما يحاول الكاتب التعويض فيها عن تواضع الشخصية وهامشيتها ،ولغاية هذه الصفحات لايبدو المرزوق شخصا مهما أو حتى مقدرا في محيطه الاجتماعي .

كذلك وصف وجه المحقق لم تكن له أية إضافة بل بدا فائضا على السرد وإسهابا غير مبرر،،(وكنا نشرب الشاي عندما جاء رجل ضخم بوجه محفر لعله من بقايا آثار مرض الجدري أصيب به في طفولته قدمني إلى هيمن: الرائد حسن المقدادي ..ضابط التحقيقات في المحافظة) (٩)

إلى جانب وجود تعليقات للكاتب تخرج النص عن النسق الذي حاول اتباعه ،فتعليق الكاتب عن يوميات القتيل التي لاتحمل أية قيمة ولا تضيف للرواية شيئا مهما والتساؤلات التي يطرحها لجذب انتباه القارئ بدت محشورة في النص وزائدة ..حتى العقدة التي حاول صنعها في السطرين الأخيرين باهتة ولم يكن لها تأثير يذكر:(أما ما يلفت النظر في هذه اليوميات فهو الصفحات الفارغة المتروكة هنا وهناك،،أتصور انه تركها ليملأها فيما بعد لكنه لم يفعل نسي أو فقد اهتمامه أو ربما لأي سبب آخر)

وهناك تضارب في بعض المعلومات والآراء التي يطرحها الكاتب بسبب انشغاله بالوصف الزائد والتعقيب مثل الموقف السابق، ففي القسم الخاص بحصول الكاتب على أوراق جلبها فراس سليمان ابن أخت المرزوق ذكر البغدادي أنها (مفاجأة) كان ينام عليها ولم يرها طوال الوقت وهي عبارة عن علبة حلويات قديمة مقشرة الطلاء ، يصفها فراس نفسه في الصفحة اللاحقة بأنها(قليلة الأهمية وهي لا تعدو أن تكون قوائم كهرباء ووصولات شراء كتب وأوراق مشابهة أخرى)!!(١٠).

يضاف إليها ثلاث رسائل شخصية مكتوبة بالفرنسية سلمها له فراس نفسه كان المرزوق تبادلها مع إحدى عشيقاته (جانيت) ليقول:(شكرا فراس ،،هذا جيد،،حدسي يقول انك وجدت لي ما يجعلني أرمم بعض الثغرات في قصة خالك،،)ولا يفهم القارئ مغزى أهمية رسائل شخصية عادية بعد أن فرغ في الصفحات السابقة من تحديد ملامح هذه الشخصية العابثة ،،فأين الأهمية والثغرات التي يتكلم عنها القاص؟،ليمضي بعدها في نسخ نصوص الرسائل ذات الطابع الشخصي غير المهم،،ليرسخ الخط الأساسي الذي قامت عليه الرواية وهي ميلها إلى أن تكون رواية مذكرات لا أكثر،،ولا تقدم تلك الرسائل أية إضافة أو معلومة للقارئ الذي ما زال يرى أن الشخصية عادية وليس فيها ما يستحق أن يكلف صحفي شبه مغمور بالتحقيق في مقتلها من قبل شخص مجهول لم يلتق به ،وكل تواصله معه كان هاتفيا أو بوسيط رتب له ظروفا مناسبة للعمل(١١)

وقد يعمد إلى تشبيهات لا يوفق فيها بسبب عدم وجود صلة مفترضة بين أطرافها معولا على الجوانب النفسية ،ففي تشبيه المستشفى في باريس بدوائر الحكومة في العراق لم يكن موفقا،،(يخيرني الطبيب بين أن ارقد في المستشفى ليلة أو ارتاح في البيت ،،لا أطيق المستشفيات ،هي مثل دوائر الحكومة في العراق مثل السجون مقبضة كئيبة موحشة،،اخرج ،يودعني المنياوي واندريه عند باب المستشفى،،نأخذ أنا وجانيت سيارة تاكسي إلى الحي اللاتيني،،)فليس بين مستشفيات باريس واكتضاض السجون والدوائر أي صلة،،ولا رابط يهم النص،،أو يرتبط بالقصة،،لا من حيث الدلالة ولا من حيث النظافة أو المظهر،،فأنت تدخل للمستشفى مريضا وتخرج منه معافى،،وتدخل للدوائر والسجون في العراق معافى وتخرج منها مريضا أو قد لا تخرج أبدا(١٢)

وأحيانا يعمد إلى قطع الكلام بأمور جانبية ليست ذات أهمية تذكر على نحو ما نجده بعد وصف دقيق وجريء لجانيت يقطع السرد ويحرف الحوار بعيدا عن الحدث في قوله:(اقتربت من الماركسية كثيرا ولم أؤمن بالتنظيم بالكفاح المسلح بالحقد والكفاح الطبقيين ،،قلت لرفيق عراقي هارب مثلي متأنق متحذلق في براغ ،لا اعتقد أن الصراع الطبقي هو محرك التاريخ الآن،ما يصنع التاريخ الآن هو الآتي ،الفاشيات والمافيات والعقائد الجامدة والمسمومة والإعلام الديماغوجي والدعاية السياسية الخداعة،،،،الخ)(١٣)وقد يملا الصفحات بتفاصيل مملة مثل وصف العلاقة العابرة بجانيت ،،مليئة بتفاصيل الخروج والدخول والمطاعم والمقاهي والغرف،،وأفعال متلاحقة في يوم مألوف في المدينة،،لا نجد فيه ما يستحق الاهتمام ونحن نبحث في التفاصيل غير المهمة عن مبررات لتفخيم الشخصية،،وأهميتها المزعومة،،حيث يضللنا الكاتب باستمرار باحثا عن التفاصيل الصغيرة الهامشية عن ملامح مفقودة،،وفجأة بعد سطور عاصفة في تفاصيلها وصورها للعلاقة مع هذه الشخصية،،تختفي ببساطة،،بلا أسباب،،ولا مقدمات،،رغم انه يعترف (واحسبني وقعت في الحب،،للمرة الثانية بعد تركي للعراق أقع في الحب،للمرة الثالثة منذ ولدت أقع في حب حقيقي،،اهو الحب؟بعد سفرة مارسيليا المشبعة بالنشوة صرت غيري وانقلب بي الحال...لكن الحال الآن غير الحال ،أكاد أمسّ،،احبك،أقرا في عينيها،أظنك لن تقولها أبدا،،ولم اقلها لناتاشا،،) (١٤) ففي وسط التفاصيل التي تختفي بعدها جانيت تطل (ناتاشا)التي يخمن القارئ من اسمها أنها روسية الأصل.

حتى لو كانت ناتشا سابقة أو لاحقة في تواجدها في حياة الشخصية لم يكن التمهيد لوجودها في القسم اللاحق مباشرة موفقا،،ولم تكن نهاية قصة جانيت مقنعة،،(امكث ساعة أخرى والشاليه يفرغ كأنني بانتظار عودتها،،إن عادت سأناديها واكلمها،،لكنها لا تعود،،)(١٥)

والى نقطة التشكيك ذاتها يعيدنا الكاتب على لسان الشخصية،،لبساطة المشهد وألفة التفاصيل لدى القارئ،،(لست واثقا إن كان هذا المشهد واقعيا تماما،،حصل في الزمان والمكان الفيزياويين،أو متخيلا كليا مر في خاطر حالم يقظة مهووس،أو حلما رأيته مثلما يرى النائم في زمن غابر منسي)

ويتشابه الكلام في كل مرة يكتب فيها المرزوق عن عشيقة فنجد الكلام والتفاصيل المتشابهة نفسها عند الحديث عن ناتاشا الروسية،،يلتقيها في تبليسه المدينة الجميلة،في القطار،،يهيئ ظرفا للحوار،،نكتشف من قصتها إنها ذات خلفية سياسية هي الأخرى،،الحزينة كالغزالة،،صاحبة الوجه الطفولي،،التي ترتدي تنورة حمراء قصيرة وقميصا ابيض،،،،ويصادف أن تعتقد انه فارسي بسبب ملامحه،،وأخبار الثورة الإيرانية التي تملا الإعلام،،ويقدمها على أنها ابنة سياسي من الطبقة الوسطى الذي مات في ظروف غامضة،،ويقدم نفسه لها بانه منفي هارب بجلده منذ زمن بعيد،شهادته الجامعية في الفن،،يرسم أحيانا ويدرس أحيانا، ثم ينقل القارئ إلى مستوى متقدم من العلاقة التي يظهر فيها وكأنها قد مضى عليها زمن طويل فتاتي فقرات متعددة تتحدث عن ،،–جمال ناتاشا الموجع–،،–لونت ناتاشا حياتي وانتشلتني من شبكة العبث واللاجدوى اليأس،،هاهي واحدة لا تشبه أية أخرى من تلك اللواتي عرفتهن في مناسبات عابره في السنين التسع الماضيات،–ويعيش معها شهورا دافئة حتى،،أخذوها فجأة يسألونها عن علاقتها به وعن السياسة التي يتكلم بها،،وما إذا كان ينتقد النظام السياسي الاشتراكي،،وتمضي الأحداث المفبركة،،حتى يتم اعتقاله،،ومن خلال الأسئلة وفبركة طريقة اعتقال ناتاشا تظهر المبالغة الواضحة ولاحقا وقائع التحقيق معه،،والأسئلة وطريقة الاستجواب،،

كل ذلك يصيب السرد بهشاشة ويسرب الملل إلى نفس القارئ الذي لم يجد لحد الآن مبررا لقراءة رواية لا تعدو أن تكون مجموعة من القراءات لروايات عربية أخرى محورها الوصف ورسم الأجساد والتفاصيل ،،وحتى حين نقرأ الأحداث اللاحقة التي تتضمن المشاركة في معارض فنية وحفلات واختلاط مع أناس كثر مختلفين وملونين تتجلى مشكلة الرواية بالنسبة للقارئ الذي لم يكتشف أن كل هذا العالم من التفاصيل لم يكن سوى خيال ووهم اودعه المرزوق في

مذكراته،،غير أن الوصف المبالغ بالتقليد للتجارب العاطفية والمواقف والتجارب والنساء المكتملات الجمال يجعل القارئ يستحضر كل نص مخزون في الذاكرة ،يشعر انه يعزف هذه التفاصيل،،المألوفة في كل شيء ،وكما قيل الحبكة الجيدة لها بناء إشكالي(١٦) وهو ما لا نجده هنا.

فضلا عما ذكر فان خط الأحداث الذي تحكمه مذكرات المرزوق وتفاصيل سيرته الشخصية الهابطة أخلاقيا تتعارض مع محاولات الكاتب اليائسة لتلميع صورة الشخصية التي جهد في إظهارها بمظهر المهم والمؤثر وقد يمارس الكاتب نوعا من التهويل في نقل الرسائل والمذكرات والأحداث على لسان من عرفوا الشخصية..التي ظلت غير مقنعه في كل أجزاء الرواية والكلام لأثير البغدادي–،، احد الذين عرفوا المرزوق–(وعن كافكا الذي لم تعرفه المدينة كما عرفها سرا مع مريدين أمثالنا هم بحاجة إلى فتات ما يتركه المرزوق بطيب خاطر في تلك الزوايا في براغ حيث تعيط رائحة الجنس والخمر والبذاءات كلها،وهلاك فكرة الثورة الاشتراكية التي ستعرف عاجلا هزيمة مدوية بسبب هذا العدد الوفير من أمثال محمود المرزوق في أنحاء العالم الثاني والثالث..)ويظهر بوضوح أن الكاتب يمارس ثانية نقدا سياسيا خفيا لكل ما يمثله المرزوق الذي كلف بالكتابة عنه في وقت حرج وظروف سيئة..كأنه يدرك أن لا قيمة للعمل الذي يقوم به،وهو ما يعترف به المرزوق نفسه في موضع من الرواية حيث يقول:(اهو كشف حساب حقا،أم مناورة مكشوفة لمواراة الحقيقي القبيح الحقيقي الناقص الحقيقي المشوه؟الكتابة كما يتهيأ لي يمكن أن تكون خداعة ،طريقة للتلون والتزويق والترتيش وأيضا أسلوب نفاق،تجربة للضحك على النفس قبل الآخرين وألا أتساءل بعد هذه الصفحات وهي ليست كثيرة على أية حال إن كنت انقل الواقع بصدق،لا الواقع كله بصدق لان هذا مستحيل واللغة قاصرة محدودة ،....هل علي أن استمر؟أم أتوقف مكتفيا بما كتبت أم الاحكم أن أمزق هذه الأوراق لكي يدفن كل شيء في الظلمات،ثم لمن اكتب،امن اجل أن يقرؤني من اجل ألا أنسى؟)(١٧)

ومع ذلك فان التمعن بالنص أكثر وأكثر يؤكد الحاجة لمزيد من التركيز لتتبع بنيات السرد بشكل متواصل ،فهو نص لابد أن تتم قراءته بشكل متتابع لكي لا تضيع جزئيات أحداثه على القارئ،وكما تقول يمنى العيد:(القراءة النشطة تعني ألا يبقى القارئ مجرد متلق،تنطبع على ذاكرته حمولات النص،وتتركه أسيرا لها)(١٨).

ثانيا: بنية الزمن الروائي

تقوم الرواية على أسلوب المذكرات في جزء كبير منها باعتبار أن أحداثها تتمحور حول مهمة صحفي مغمور بالكتابة عن اغتيال شخصية مغمورة وجزء من هذه المهمة يتعلق بسيرة تلك الشخصية وقد شكلت أيضا محاولة لخرق النسق الزمني التراتبي لهذا النوع من الروايات،وقد لجأ الكاتب إلى أساليب مختلفة منها عرض صفحات المذكرات الشخصية التي عثر عليها في بيته وكذلك الرسائل الاعتيادية والالكترونية والحوارات عبر وسائل الكترونية مع شخصيات عرفت بصلتها مع الشخصية الرئيسية(المرزوق) ،وقد كان لهذا الأسلوب في العرض جوانب سلبية منها الرتابة التي سببها العرض المتراتب زمنيا وطول الصفحات التي استغرقت ما يقرب من ربع الرواية وما خفف من هذه الكآبة نوعية الأحداث التي لا يصعب اكتشاف عدم واقعيتها كونها تمثل روايات عالمية وأفلام سينمائية بحكم كونه قارئا ومتابعا نشطا للفعاليات الفنية لتي تضمنتها سيرته.

ولان القصة تسردها شخصية السارد المهيمن–المشارك (ماجد البغدادي)عن الشخصية المحورية(المرزوق) فإننا نجد خطين شبه متوازين لزمن السرد يتداخلان في نقاط قليلة جدا حين تذوب الحدود الفاصلة وتتولد ألفة تقوى كلما تقدمنا في قراءة الرواية.

وفي الحقيقة لانجد ملاحظات قيمة حول بنية الزمن في الرواية على الرغم من أنها بأسلوب كتابتها تتيح استغلالا أفضل له ونميز الأزمان الآتية فيها:

١– الزمن التراتبي بحركة شخصية السارد(ماجد البغدادي)من لحظة تكليفه بالكتابة(عن شخصية المرزوق اثر مكالمة هاتفية من مجهول (لا نعثر له على ذكر بعد ذلك مطلقا وكأن الكاتب نسيه تماما)ويشمل ذلك الأحداث الخاصة بالسارد وعلاقاته وتواصله مع الشخصيات المتنوعة.

٢–الزمن الخاص بالمذكرات والصور المتعلقة بالشخصية.

٣–الزمن الخاص بالشخصية المحورية في الأحداث التي يسردها الأصحاب وشهود العيان.

والأنواع أعلاه مزيج من الزمن المتعاقب الدائري الطولي التعاقبي في حركته المتكررة ويعود بعضه على بعض(١٩)

ولأنها رواية مذكرات وسيرة لا نأمل الحصول على التنويعات والاستثمار الممكن لعامل الزمن الروائي وفي الحقيقة فان هذا النوع من الروايات يبدو مملا في جانب منه لهذا السبب تحديدا،صحيح أن التذكر والعودة إلى الماضي كانت حاضرة وبقوة في المذكرات لكن الطريقة التي لجأ إليها الكاتب بالتنقل بين قصة المرزوق وقصته الخاصة أثمرت في إيجاد نوع من التنوع الذي خفف وطأة الرتابة ،بل إن الاستثمار الوحيد اللافت للانتباه في النص كان في تنويع سرد الخلفيات الخاصة بأنواع الزمن السابقة على امتداد مساحة النص.

وكان من الممكن للرواية التي تقوم على المذكرات أن تتحرر من رتابة الزمن من خلال استخدام تقنيات معروفة وشائعة منها الاسترجاع والتذكر وغيرها ،لاسيما وان الأحداث يمكن أن تمتد إلى رقعة زمنية شاسعة مليئة بالتحولات السياسية،غير أن التوازي الذي عمد إليه الكاتب للتخلص من رتابة القص من خلال سرد قصته الخاصة وبعض تفاصيلها بطريقة شبه منفصلة أدت إلى إحداث نوع من التفكك في بنية السرد ،مع أن الرواية سارت في أحداثها نحو النهاية رغم خرق الأنساق الزمانية والمكانية الذي تسببت فيه طريقة عرض المذكرات الخاصة بالمرزوق والقصص التي يرويها الشهود من أصدقائه وأقاربه ومعارفه التي امتازت بالطول والسرد المهمل الذي ملأ صفحات طويلة من الرواية تشكلت فيها ملامح شخصية المرزوق التي لم تكن بذلك العمق والغموض الذي ينتظره القارئ الذي كان يكتشف نوعا من (الزيف البطولي) والهالة الكاذبة التي سعى الكاتب إلى إحاطة الشخصية بها،في الحقيقة لا احد يقرأ الرواية ويتعاطف مع الشخصية لا بسبب سيرتها بل بسبب عدم وضوحها ،ولو غطى الكاتب ذلك القصور باستثمار امثل للزمن لكان هناك كلام آخر،لاسيما وان الزمن في الرواية كان متعلقا بالأماكن بشكل كبير،وعدا الدلالات الزمنية للأفعال لا نجد ملاحظات تذكر على بنية الزمن الروائي.

ثالثا:بنية المكان الروائي

وأما المكان الروائي باعتباره المكان اللفظي المتخيل الذي تصنعه اللغة انصياعا لحاجات السرد،وهو تشكيل يجمع المحسوسات والملموسات ومكون من مكونات الرواية يؤثر فيها ويتأثر بها والوصف المستخدم في رسم المكان سيكون مقدمة لاختراق الشخصيات للمكان بوجهة نظرها الخاصة(٢٠).

فإلى جانب أسماء المدن التي مثلت مسارح الأحداث –بعقوبة،بغداد،شارع الرشيد،باريس ،تبليسه،براغ– هناك الأماكن الداخلية التي تجري فيها الأحداث ،وبما أن الرواية قائمة على المذكرات في جزء منها وتداخلت فيها قصة السارد بالقصة الرئيسية فإننا نجد نوعين من الأماكن التي يشترك بعضها بكونه مسرحا للقصتين،كما أن هناك أماكن متخيلة مألوفة استحضرتها الشخصية المحورية(المرزوق) في كتابة المذكرات،وهي أماكن مفترضة لأحداث مفترضة لكن شهرتها جعلتها اقرب إلى الحقيقية بل هي أكثر واقعية من العناصر الأخرى كالحدث مثلا،لان الشانزليزيه والحي اللاتيني ومقاهي باريس ومعارضها أمور مألوفة،ومن جانب آخر فهي أماكن أليفة يهرب إليها بخياله الخصب متخيلا تفاصيل قصص الغرام مع خليلاته ، ومن هذا المنطلق مثل السرداب الذي سكن فيه المرزوق أكثر الأماكن ألفة للمرزوق فقط وهو ما استنتجه فراس ابن أخته والسارد ماجد البغدادي حتى وان كان المكان الذي استقى منه التفاصيل المهمة عن الشخصية التي كلف بالكتابة عنها و العالم الذي عاشت فيه الشخصية،لذا كان الاهتمام به و في بداية دخوله إليه أبدى ردة فعل غير مريحة:(كيف لشخص مثل محمود المرزوق فنان وكاتب عاش سنوات عديدة في براغ وباريس وجاب نصف أوربا وربما بعضا من مدن شمال إفريقيا أن يعيش شيخوخته في مكان كهذا،كانت الإضاءة شحيحة...)(٢١)، ثم وصف مسهب للفوضى العارمة والغبار الذي يعلو المكان ،ولاحقا في المذكرات والقصص تظهر أماكن كثيرة ترتبط بماضي الشخصية وجانب من تفاصيل حياة ماجد البغدادي نفسه،وبين الأماكن المغلقة السرداب وغرفة ماجد في بعقوبة وغرف الفنادق التي ارتادها المرزوق والأخرى المفتوحة التي مثلت المدن والشوارع والأحياء تبرز أماكن معادية كثيرة منها السوق الذي قتل فيه المرزوق وساحة الفردوس التي تحمل رمزية التحول الذي اختلفت دلالته وحيث عقد الكاتب مقارنة بين سقوط تمثال صدام حسين في ساحة الفردوس برمزيته المعروفة وشخصية المرزوق في واحدة من لحظات سقوطه الأخلاقي التي يبدو أنها صفاته الحقيقية،،وفشل الكاتب في استيعاب دلالة المكان و

رمزية سقوط التمثال وربطه بشخصية المرزوق غير المؤثرة ،،حتى لو كان يقصد المقارنة بين الموقفين ويرسل رسالة سرية للقارئ مفادها أن المرزوق الذي يحاط بهالة من الاهتمام ليس أكثر من شخص عادي في الحقيقة مثلما كان التمثال يجسد شخصا يقل قيمة عن كونه يستحق أن يصنع له،،وفق ما يبدو،،معبرا عن موقف سياسي خاص من موضوع سقوط النظام،،فالمرزوق ليس مرحلة حتى إن كان يبدو انه مهم عند الذين كلفوه بالكتابة عنه،،بعكس صدام حسين الذي كان مرحلة متكاملة كان لسقوط تمثاله رمزية قوية يراها البعض سقوطا للطغيان ويراها الآخر سقوطا للدولة ويراها البعض سقوطا لنظام حاله حال كل الأنظمة التي سقطت قبله سقوطا دمويا في العراق،، ليكون المكان في هذه الحالة أداة تعكس جزءا من فلسفة الكاتب ورؤيته السياسية.

وما بين أماكن السارد(البغدادي) الواقعية وأماكن الشخصية المحورية(المرزوق) المتخيلة فواصل سردية منعت تداخلها اعتمادا على آلية القص التي هيمنت على طريقة بناء ثيمتي الرواية الرئيسية المتوازية ،ذلك أن الفضاء الروائي لا يتشكل من وجهة نظر واحدة،بل من وجهات نظر متعددة(٢٢)

ثالثا:بنية الشخصية

الشخصية جزء من العالم الذي نحيا فيه يمتزج فيها الخير بالشر فكأنها مرآة تعكس العصر والقيم والأمل والألم(٢٣)

وتبدو الرواية التي بين أيدينا تقليدية من حيث بناء الشخصية لان الأخيرة تمثل كل شيء فيها لهذا سار الكاتب على خطى من سبقه من الروائيين في تركيز جهده وعبقريته فيها.

ولو أخذنا على سبيل المثال شخصية المرزوق لوجدنا أنها على الرغم من كونها الشخصية الرئيسية المحركة للأحداث إلا أنها تبدو اقرب إلى الوهم منها إلى الحقيقة ولا تفلح الهالة التي يحيط بها السارد الشخصية في إبراز أهميتها وهي تقوم على التركيز على الغموض الذي يحيط بها وبظروف مقتلها،فيما نعثر في المذكرات على ملامح شخصية اعتيادية لا تختلف عن آلاف البشر الذي يعرفهم المجتمع العراقي ونكاد نعثر على كل واحد منهم في كل زقاق أو محلة ،ونعني به أنموذج المثقف السلبي المتمحور حول الذات والشهوات والقراءة والخمر ،يؤكد ذلك ترافق أسماء الروايات والكتاب العالميين وأسماء أماكن مشهورة حلم المرزوق بالسفر إليها في كتاباته وأسماء ماركات الشراب والأماكن ودور السينما في بغداد،وباريس كما في وصفه لاماكن مشهورة :(كنت معها في مقصف الوردة الذهبية ..لست على يقين من وجود هذا المقصف في الشانزليزيه ..أم كنا بمقهى في مومبارناس أم في شقتي بالحي اللاتيني)(٢٤)

ومما يلاحظ أن الرواية سارت في هذا القسم من بنائها على اختيار أسلوب شائع وهو الكتابة بطريقة ضمير المتكلم ،وهو أسلوب محدد الأفق وكذلك بضمير الأنا أحيانا الذي يكتب المعلومات التي يحتاج إليها بشيء من التكلف والحرمان ما ينتج أحيانا أوضاعا غريبة صعبة الاستيعاب(٢٥)

وقد اتسمت الرواية بالوصف المفرط الممل أحيانا للشخصيات ،لاسيما الثانوية منها ،بل إن اهتمام الكاتب بهذه الشخصيات أربك النص بلا مبرر وضيع تتبع حلقات المعنى على القارئ في أماكن كثيرة، ومن ذلك وصفه لشخصية كاكه عباس:(كاكة عباس كردي سجن مرة واحدة في العام ١٩٦٣ ونفي مرتين في السبعينات والثمانينات داخل البلاد وبحث عن منفى في الخارج...الخ)(٢٦)

وشخصية أيمن قرداغي(يدخن بشراهة حين يتوتر ترتفع بارومتر حاجته للنيكوتين يصفف شعره على طريقة البير كامو أو همفري بوغارت يحلق ذقنه وشاربه بعناية حد إظهار خطوط شيخوخة مبكرة على وجهه وهو ما يحصل بالضد من إرادته)(٢٧)

أو قوله وهو يصف المرزوق في إحدى الصور: (كبطل في فلم كاوبوي هوليودي يلبس قبعة أمريكية ذات حواف معقوفة وقميصا اسود أزراره مفتوحة حتى نقرة صدره بشعر عريض والى جانبه امرأة ضئيلة كما لو أنهما في قرية تشبه تلك التي يحكي عنها فلوبير في رواية مدام بوفاري ثوب المرأة سماوي مزهر بالأبيض أزرار الياقة مسدودة يبرز الثديين وينضغط عند الخصر وينفتح أسفل ذلك،تلبس كاسكيت لاعبة تنس يظلل ملامحها وهذا ما يترك تنافرا في اللقطة يخيل إلي أنها مليحة شهوانية أو لعوب)(٢٨)

وقد يأخذه أسلوب الإسهاب في الوصف إلى تكرار الوصف في الصفحة الواحدة كما حصل في وصف إحدى صديقات المرزوق (حين رايتها تأكدت من أنها لم تكن جميلة جدا جمالها في المستوى العادي قصيرة تميل بشرتها إلى السمرة بأنف صغير مقوس وشامة صغيرة....الخ)ثم في موضع من الصفحة نفسها(شعرها الفاحم القصير عيناها اللوزيتان رصعة خدها...الخ)(٢٩)

ومن الأمثلة الأخرى التي يسهب فيها في وصف شخصيتين هما محمد المنياوي واندريه الفرنسي،،الذين التقى بهما في احد بارات باريس في الأحياء القذرة التي تضم المشردين والبغايا والمهاجرين غير الشرعيين،،ورغم أن الشخصيتين من هذا القاع لكنه ونتوقع كما اعتاد في رسمه للشخصيات أن تكون الشخصية التي يلتقي بها ،،ذات خلفية ثورية وسياسية ،،فمحمد كان(ناصريا محبطا سجنه السادات سنتين لنشاطه الهدام كما جاء في ديباجة القضية وحين خرج من السجن سمحوا له أن يطير باتجاه أوربا ،كان قد قرر عدم العودة وكانوا يعرفون انه لن يعود،،ولم يكونوا يريدونه أن يفعل،،كان مصدر صداع للأمن،،محمد جاء من المنيا كما قال لي إلى القاهرة في السبعين من القرن العشرين،،عند رحيل عبد الناصر وشارك في تشييعه،،،الخ)(٣٠)

أما اندريه،،فهو(باريسي صميم ابن ملازم فرنسي أسره النازيون وأعدموه وكان هو في عمر السابعة ،أمه امتهنت التمثيل في المسارح الصغيرة،وقدمت عروضا في سيرك متنقل،لمدة تاركة ابنها الوحيد عند خالته،وماتت على اثر جرعة زائدة من الماريغوانا،،)..(٣١)

هذا التفصيل الممل الدقيق لحياة شخصين التقاهما في مكان عام لم يضف للسرد أي شيء عدا الإسهاب الذي نلمحه هنا وهناك وحتى خلفيات حياة تلك الشخصيات عادية ومألوفة تراها في الأفلام الأجنبية،يستطيع أي قارئ أن يرسمها، وتطرح هذه الصور تساؤلات عن لهاث الكاتب لإحاطة الشخصية بهالة من السمات بوضعها في أجواء ومع شخصيات تبدو أحيانا وكأنها غير حقيقية،،لا لكونها خيالية بل لكونها مستوردة وكأنها قطع جاهزة رتب لها مكانا بين السطور وحشرها،،حتى الشخصية نفسها تتساءل أحيانا عن جدوى هذا السرد،،((لماذا أعرج على هذه التفاصيل التي ربما أكون اختلق بعضها عن اندريه وعن المنياوي!!)وكذلك في وصف شخصياته الباقية.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد إذ يبالغ أحيانا في الاندماج مع الشخصيات بما لايتناسب ومعرفته المفترضة بها كوصف الضابط المقدادي له بالذكي والصحفي المرموق لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار عدم وجود علاقة سابقة بينهما وكونها المرة الأولى التي يحضر فيها إلى المدينة ومن ثم وصفه للمقدادي بأنه(متواضع الثقافة) ثم الاندفاع غير المبرر من الضابط لتزويده بمعلومات إحساسه وهو لم يلتق به سابقا!!(٣٢)

واتسمت الرواية بتهويل الشخصية والحماس الزائد نحوها وهو ما تجلى فيعقد الصلة بين الوضع السياسي المتأزم في الستينات والواقع الحالي كان قاسما مشتركا بين الروايات العراقية التي تحاول أن تجعل من الشخصية بطلا فقط بمعيار انتمائه إلى المعارضة،،على غرار ما نرى عند عالية ممدوح في الغلامة وغيرها ،والتي تمجد البطل الشيوعي فقط لأنه شيوعي،،بدون سوق مبررات حقيقية لتمجيد الشخصيات التي تتسم بكونها اقل من عادية وليس لها تأثير في محيطها الاجتماعي ،،وهنا البطل شخصية هامشية لا دور لها ولا قيمة ،وتركيز الكاتب على عادات الشخصية وسلوكياتها الغريبة الطابع كان مفرطا وهي قيمة سطحية ،وليس لادعاء الكاتب أن الشخصية(على رأس القائمة المطلوبة للحكومة)وهو شيوعي من آلاف الشيوعيين الذين اعتقلوا لأنهم شيوعيون فقط حتى لو لم يكن لهم دور سياسي!!وما أكثرهم في تلك العقود التي تلت صعود الشيوعية في العالم.

كما يعوض الفشل السياسي للشخصية وتواضع دوره بمقطع غريب يقفز فيه الأحداث في محاولة غير موفقة للتعويض عن الضرر الذي لحق بالمرزوق الشخصية المقصودة بالكلام بقوله:(في براغ

سيستعيد إيمانه بالحب حين يعشق امرأة روسية بيضاء وسيحافظ على الربع المتبقي بإيمانه بموهبته وسيخسر النصف الآخر بتنظيمات اليسار القائمة (٣٣)

إن محاولة تفخيم دور الشخصية المتواضعة الحضور قد لا يعكس تعاطف الكاتب معها وحسب بل محاولة نبش أشياء تمثل تفاصيل لتاريخ ضئيل التفاصيل عنها.

وقد انعدمت أو كادت تنعدم المسافة بين المؤلف والشخصيات التي يكتب عنها إلى درجة اندمج فيها مع الوجهة الانفعالية والأحداث التي يرويها في بعض الأحيان مخالفا إحدى نقاط الأدوار التي تحكم العلاقة بين المؤلف والشخصية(٣٤)،ولو عدنا إلى شخصية المرزوق نفسها ونهايتها بعد رحلة السقوط وجدنا أن سقوط الشخصية الذي لا يقدم له الكاتب ما يبرره رغم كل شيء يعري هذه الشخصية ويضع الكاتب ومعه القارئ في حيرة لدواعي الكتابة عنها حيث أنها بلا تاريخ مشرف ولا ماض يستحق الاحترام كما إن سقوها المتواصل ليس له صلة بتاريخها..وبصراحة يتكشف للقارئ أن النص بلا هدف حقيقي ولا غاية له سوى السرد المجرد المتواصل إلى ما لا نهاية لمذكرات وتفاصيل ترويها أو يرويها الشهود عبر الرسائل والايميلات..حتى محاولة استحضار شيء من ماضي الشخصية لم يكن سوى إقحاما لجزئية زمنية في إطار السرد المكرر للوقائع،كالربط بين حادثة إطلاق النار في بار ببعقوبة والهرب بعدها وامتهان جسد فتاة شابة بطريقة بشعة لم تضف للتفاصيل شيئا جديدا ،وفي نهاية الفصل الثالث صفحات مطولة مملؤه بسلسلة من الصور الهابطة والأحداث المتلاحقة لسقوط الشخصية ،متنقلا بالزمن ما بين الحي اللاتيني الذي (لم يره المرزوق بل تخيله) وبين ذكرياته السيئة في شارع الرشيد في خمسينيات القرن الماضي،وينجح الكاتب في عقد الصلة بين الأماكن المتباعدة رغم اختلاف الثقافات باعتبار أن السقوط لا هوية له،رغم انه يبالغ في الحديث عن واقع الحال تحت مظلة الشيوعية في العراق والتي فشلت في البقاء في مجتمع يرفض أسسها التي تعارض قيمه رغم سعي الكثيرين من كتاب ومؤرخين لإكسابها الشرعية لاسيما في الرواية العراقية على نحو ما نرى عند عالية ممدوح في الغلامة والتشهي وعين الدود لنصيف فلك وغيرها حيث(يبرز الفعل الجنسي عنصرا فعالا في استراتيجيات السرد ويساهم في صنع المعاني المختلفة السياسية والاجتماعية والأيديولوجية فتتوازى السياسة مع الجنس وتتداخل معه عبر ذاكرة أبطال الرواية)(٣٤)في محاولة لتحويل الاضطهاد السياسي المألوف في العراق الجمهوري إلى وسيلة لبث الروح في جسد الشيوعية الميت ،ولم تكن أهمية شخصية محمود المرزوق في أنها شاهدة على انكسارات العراق وهزيمته أو حتى خسائره المتعددة في الحب أو الوطن بل كانت صورة درامية

كشفت عن هزيمة الاشتراكية واكلها لأبنائها وحيث سجن المرزوق وسجن ناتاشا الشيوعية وتعذيبها وغيرهما في الرواية.(٣٦)

وربما حين ننتهي من قراءة الرواية سنجد اختفاء كل الطرق التي تؤدي إلى الشخصية التي ظهرت سابقا بكل وضوح في الرسائل والحوارات والأحاديث التي أجراها مع من يعرفون المرزوق ،ويخرج الكاتب من كآبة التفاصيل وتكرارها إلى تسليط الضوء على نفسه_أي ماجد البغدادي_من خلال توظيف تقنية توازي الأصوات داخل النص السردي التي لجأ إليها الكاتب في هذه الرواية وهي سمة تتميز بها الرواية عن سائر الأجناس الأدبية لكونها تتمثل بالطابع التمثيلي واستيعاب عوالمها للشخصيات المتعددة والفضاءات الزمانية والمكانية التي تتسع للحضور الإنساني المتنوع مستوعبا الاختلافات الفكرية والاجتماعية والثقافية للشخصيات المتنوعة في العمل الواحد،(٣٧) ولا نعني بذلك غياب صوت المؤلف بل حضوره الموازي للشخصية الرئيسية(المرزوق)،من خلال عدة وسائل ينفذ منها إلى فضائه الموازي الخاص (الزماني والمكاني)،كأن يعقد صلة خفية بينه وبين بطل روايته المرزوق وحيث خليلات المرزوق على النقيض من (فاتن) المرأة التي يحب،وصف البغدادي علاقته بفاتن وأطرها بأسلوب مألوف في النص السردي العربي المعاصر الذي يصف (المرأة–الصديقة) وخلفية العلاقة معها وهي عبارة عن أفعال ومشاوير في مطاعم ومحطات باصات مع الحفاظ على الجانب الجغرافي في وصف الأماكن وتسميتها..مع فشل الكاتب أحيانا في عقد الصلات المناسبة بين بعض الجوانب المتوازية للشخصيات كما حصل في الربط غير الموفق بين مقتل ابن خالة (فاتن) في انفجار ساحة الطيران وعدم استلامه الرد الذي ينتظر على رسالته التي أرسلها إلى (جانيت) إحدى خليلات المرزوق،في محاولة لوضع نهاية للقص التي لم يعد ممكنا أن يقال فيها شيء :(النهايات مفتوحة دائما،ليست ثمة نهاية أكيدة يعتد بها،وكل شيء يجنح لمناكدة أفق توقعاتنا،تنقطع فاتن عن الاتصال بي ليومين هاتفها مغلق ولا اعرف كيف يمكنني أن أصل إليها،لا اعرف عنوان بيت أهلها،وهي لا تداوم في كليتها لأنها متفرغة لكتابة بحثها الجامعي،تجتاحني الشكوك،الهواجس المضنية الكالحة،تخطر على بالي التوقعات السيئة،ثم إذا بها تهاتفني والعبرات تخنقها..قتل ابن خالتي عمار في انفجار ساحة الطيران قبل يومين.....كيف يمكن التعليق على حدث مثل هذا؟أية عبارات علي أن أتوسل بها لأواسي فاتن التي كان يجب أن أخطبها من أهلها بعد أسبوعين؟.....يعيد لي البريد الرسالة التي على عنوان جانيت في باريس والتي ضمنتها رسالتي المرزوق إليها مع شرح لمصيره الفاجع والمهمة التي كلفت بها لكتابة سيرته،لقد افترضت أنها ما

تزال عائشة..تعود الرسالة مع ملاحظة أن المرسل إليها غير موجودة في العنوان المذكور..ينتابني حزن شديد كما لو أنني أتلقى خبر موت شخص قريب جدا مني..خبران فاجعان في أسبوع واحد..)(٣٨)

حيث يعترف بالفشل لا في البحث عن معلومات عن المرزوق بل بتبرير لإثبات مزعوم لأهمية شخصية اقل من عادية في حقيقة الأمر ،وليس من مكسب سوى(...اكتسابي لصداقات جديدة رائعة ورؤيتي ل(غير مذكورة وهي بعقوبة) على الرغم من أنها لا تبعد عن بغداد بأكثر من خمسين كيلو مترا)!! وهي إحدى الإشارات التي يبعثها المؤلف على خيبة الفشل التي يتوقع أن يصاب بها القارئ،وحيث النهاية غير المتوقعة لشخصية جهد إلى نفخها على مساحة صفحات الرواية،وهو ما يتجسد أكثر في الجزء الخاص بمقتل المرزوق مقابل ٣٠٠$ فقط دفعت لقاتله لتعكس القيمة الرمزية البخسة لحياة الإنسان في العراق الفوضوي وهو ثمن لشخصية حاول الكاتب أن يملأ بها صفحات روايته صخبا ،والمفارقة المريرة أن بعد كل هذا الجهد يتضح أن المرزوق لم يكن المقصود بالاغتيال بل إن الصدفة السيئة جاءت به في طريق القتلة وموته خطأ غير متعمد حيث أن (الجماعة الإرهابية) أرادت قتل(شيخ غامض صفته البدنية اللافتة الطول الفارع وعرض الصر أعضاؤها يعتقدون أن الشيخ الضخم الغامض ذاك يعمل بصفة مستشار مع الجهات الاستخبارية العليا وهو خبير في شؤون الجماعات المتطرفة والأعمال الإرهابية وبارع في التحقيقات،....يأتي على وجه السرعة اثنان من أعضاء الخلية الأول هو القاتل المحترف الذي ينجز مهامه بخفة وبراعة في وسط أي ازدحام من غير أن يلفت انتباه احد..وهو لا يعرف الضحية/الهدف،ولم يره من قبل،والثاني هو الدليل الذي يعرف الرجل الغامض الضحية بشكل جيد يجولان في سوق المدينة شارعا بعد شارع،..الاتفاق التكتيكي أن يسلم الدليل على الضحية يصافحه ويتكلم معه قبل أن يتركه وبذا يتعرف الشخص الأول على طريدته يلتف حوله يضع مسدسه الكاتم للصوت في خاصرته ويضغط على الزناد.....الشخص الثاني /الدليل سبق وان زار مكتبة المرزوق قبل عشرة أيام وطلب كتابا ما.....المرزوق يلمح الشخص/الدليل فيناديه ويسلم عليه ويتصافحان ..الدليل لا ينتبه..إلى سوء الفهم الذي يحصل عند الشخص الأول/القاتل المحترف..القاتل يستدير فيمشي وراء المرزوق يقترب منه حد الالتصاق به..ومن تحت معطفه يطلق النار)(٣٩)

في أثناء سرد التفاصيل نلمح تدخلا غير موفق من الكاتب بقوله(هذه الفقرة لم اقتنع بها،إذ كيف لرجل له هذه المسؤولية الخطيرة أن يمشي في السوق بلا حماية كافية..)هذا الكلام عن

الشخص المقصود بالاغتيال،وفي الحقيقة تتداخل الرؤية عند القارئ هل هذا رأي البغدادي أم الكاتب،ولا تبدو المداخلة مناسبة في هذا الوضع..بل إن الخلل يستمر في تعليق البغدادي وربما الكاتب نفسه على المفارقة الغبية التي قادت لمقتل المرزوق باستحضار سطحي المغزى لعنوان كتاب (دور الصدفة والغباء في تغيير مجرى التاريخ)لاريك دورشميد والذي لم يكن سوى محاولة فاشلة لتدارك الخيبة التي يشعر بها القارئ ،ومع محاولة الكاتب لكسر أفق توقع القارئ اصطنع مفارقة ما ،وهي مفارقة الحدث(حيث نتج من تعارض بناء الأحداث مع بعضها وحيث تجري الأحداث على النقيض مما هو منتظر)(٤٠)حاول من خلالها إنهاء النص بطريقة ترسخ في ذهن القارئ وربما تبعث برسالة خفية مفادها أن لاشيء مما يعيشه ويراه في العالم حقيقي وذو قيمة وهو انعكاس لحالة الخيبة العميقة التي أصيب بها المجتمع والمثقفون فيه على وجه الخصوص بعد أحلام التحرر من الديكتاتورية والعيش بحرية إبان إسقاط الديكتاتورية في العراق.

وربما كانت هذه الملاحظات أو غيرها التي سجلت على الرواية سببا في وصفها بوصف قاس بأنها (عمل مزعج مرتبك متوتر غير ناضج ولا يحمل أي دلالة لمفهوم السرد اليومي لشخوصها حيث أنها بدأت بنسج لا معقول لحدث ما وربطته بالزمن ومن ثم وضعته في نهاية مظلمة)(٤١)

هوامش الدراسة

١- ويكبيديا-روائيون عراقيون.، و الحوار المتمدن ٩٠٧http://www.ahewar.org/m.asp?i=
٢- مقتل بائع الكتب-رحلة عراقية في المجهول-مقال جريدة العرب.
٣- حوار مع سعد محمد رحيم المرشح في القائمة الطويلة-موقع الجائزة العالمية للرواية العربية ٢٠١٧/١/١٩.
٤- بلاغة الخطاب وعلم النص/٢٧٥
٥- بنية الاستهلال في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣-جريدة الزمان ٢٧ نوفمبر ٢٠١٧
٦- مقتل بائع الكتب /٥
٧- في نظرية الرواية-١١٦
٨- مقتل بائع الكتب/١٩
٩- نفسه/٣٥-٣٩
١٠- نفسه/١١٩-١٢٠
١١- نفسه/١٢٣-١٤٤
١٢- نفسه/١٦١
١٣- نفسه/)١٥٥-١٥٦
١٤- نفسه /١٦١-١٦٦
١٥- نفسه/١٥٩
١٦- تقنيات الكتابة/١٥
١٧- مقتل بائع الكتب/١٥٤
١٨- الراوي الموقع والشكل-دراسة في السرد الروائي/١٣.
١٩- في نظرية الرواية-١٧٥
٢٠- الرواية العربية -البناء والرؤيا-٧٥
٢١- مقتل بائع الكتب/ ١٥١
٢٢- بناء الرواية السورية١٩٨٠-١٩٩٠/٢٧٥
٢٣- في نظرية الرواية-٧٦
٢٤- نفسه/٧٩
٢٥- مقتل بائع الكتب/١٥١
٢٦- في نظرية الرواية-٨٣

٢٧- مقتل بائع الكتب/٥٠.
٢٨- نفسه/٢٧
٢٩- نفسه/٨٦
٣٠- نفسه/٨٩
٣١- نفسه//١٥٨-١٥٩
٣٢- وكذا في ناتاشا/١٣٠. ،رباب/٩٨،١٤٨
٣٣- نفسه/٤١
٣٤- نفسه/٩٣-٩٥
٣٥- بلاغة الخطاب وعلم النص/٢٦٦
٣٦- تعدد الأصوات في الرواية العراقية دراسة نقدية في مستويات وجهة النظر(١٩٨٥-٢٠١٠) /٦٥.
٣٧- مقتل بائع الكتب-رحلة عراقية في التاريخ المجهول-جريدة العرب .
٣٨- تعدد الأصوات في الرواية العراقية/١٢
٣٩- مقتل بائع الكتب/٢١١-٢١٢
٤٠- نفسه/٢١٥
٤١- المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة(٢٠٠٣-٢٠١٣)-راما عبد الجليل راضي-رسالة ماجستير-جامعة القادسية-٢٠١٦ /٥٦.
٤٢- قراءة في رواية مقتل بائع الكتب،البوكر الحقيقي والكارتوني-ايفان زيباري-جريدة الزمان ١١ سبتمبر ٢٠١٧.

مصادر الدراسة

١- الراوي الموقع والشكل-دراسة في السرد الروائي-يمنى العيد-مؤسسة الأبحاث العربية – ط١-بيروت -١٩٨٦ .
٢- الرواية العربية البناء والرؤيا-سمر روحي الفيصل-منشورات اتحاد الكتاب العرب-ط١-٢٠٠٣.
٣- بلاغة الخطاب وعلم النص- د.صلاح فضل-سلسلة عالم المعرفة(١٦٤)-الكويت-١٩٩٢.
٤- بناء الرواية السورية١٩٨٠-١٩٩٠-سمر روحي الفيصل-منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٥

٥- بنية الاستهلال في الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣-جريدة الزمان ٢٧ نوفمبر ٢٠١٧
٦- تعدد الأصوات في الرواية العراقية دراسة نقدية في مستويات وجهة النظر(١٩٨٥-٢٠١٠)-هديل عبد الرزاق احمد -دار المنهل -ط١- ٢٠١٦.
٧- تقنيات الكتابة -مجموعة من المؤلفين-ترجمة رعد عبد الجليل جواد-دار الحوار-ط١-اللاذقية ١٩٩٥.
٨- في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد-د.عبد الملك مرتاض-سلسلة عالم المعرفة(٢٤٠)-الكويت-١٩٩٨.
٩- المفارقة في الرواية العراقية المعاصرة(٢٠٠٣-٢٠١٣)-راما عبد الجليل راضي-رسالة ماجستير-جامعة القادسية-٢٠١٦ .
١٠- مقتل بائع الكتب-سعد محمد رحيم-دار سطور للنشر-ط٢-بغداد-٢٠١٧.

المقالات

١- الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/m.asp?i=٩٠٧
٢- قراءة في رواية مقتل بائع الكتب،البوكر الحقيقي والكارتوني-ايفان زيباري-جريدة الزمان ١١ سبتمبر ٢٠١٧.
٣-
٤- مقتل بائع الكتب-رحلة عراقية في التاريخ المجهول- ممدوح فراج النابي-جريدة العرب-العدد ١٠٦٤٥ في ٢٠١٧/٥/٢٧.
٥- حوار مع سعد محمد رحيم المرشح في القائمة الطويلة-موقع الجائزة العالمية للرواية العربية ٢٠١٧/١/١٩.
٦- ويكبيديا-روائيون عراقيون.